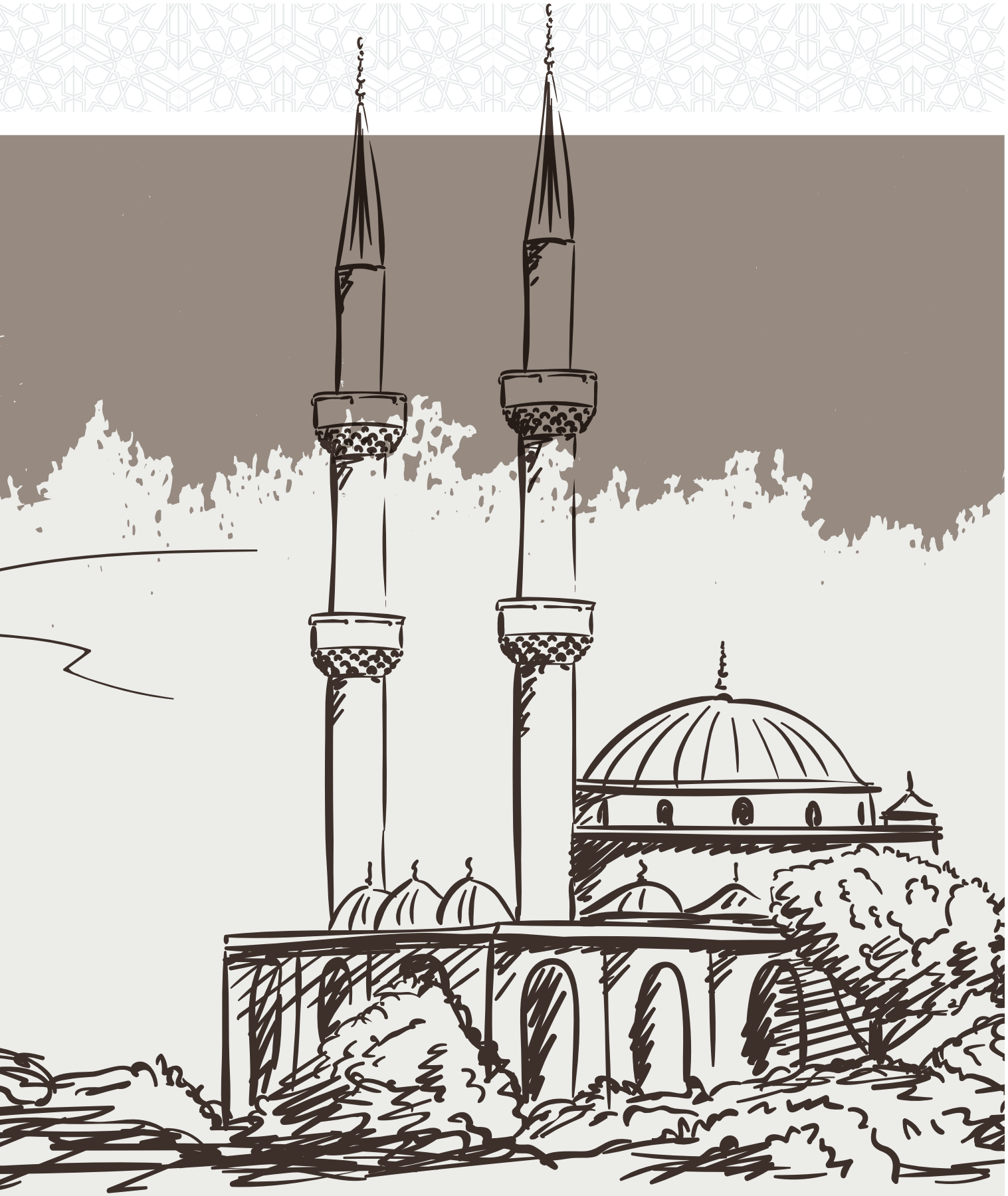

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ:

١ «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا،

٢ فَإِذَا طَلَعَتْ مِنْ مَغْرِبِهَا، آمَنَ النَّاسُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ،

٣ فَيَوْمَئِذٍ ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨]»[١٦٥].

(١٦٥) رواه البخاريُّ (٤٦٣٥)، ومسلم (١٥٧).

آيات

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٨].

﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا﴾ [غافر: ٨٥]

الراوي

هو: أبو هريرة، واسمه على الأرجح: عبدُ الرحمنِ بنُ صَخرٍ الدَّوسيُّ، الأزْديُّ، اليَماني، أسلَمَ عامَ خَيبَرَ، ولازَمَ النبيَّ ﷺ وحرص على العلم وحفظ الحديث، فكان أكثر الصحابة رواية للأحاديث؛ توفي بالمدينة سنة (٥٨هـ)[١].

خلاصة

يذكر النبيُّ ﷺ أن من علامات الساعة الكبرى طلوع الشمس من مغربها، وأنها إذا ظهرت أُغلق بابُ التوبة، فلا تقبل توبة أحد بعد رؤيتها.

(١) تُراجع ترجمته في: «معرفة الصحابة» لأبي نُعيم (٤/ ١٨٤٦)، «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبد البر (٤/ ١٧٧٠)، «أُسد الغابة» لابن الأثير (٣/ ٣٥٧)، «الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر العسقلانيِّ (٤/ ٢٦٧).

١ يخبر النبيُّ ﷺ عن آخر علامةٍ من علامات الساعة الكبرى، وهي طلوع الشمس من مغربها على غير عادتها؛ ففي الحديث أنَّ الشمسَ حين تغرب تَذْهَبُ حَتَّى تَسْجُدَ تَحْتَ العَرْشِ، فَتَسْتَأْذِنَ فَيُؤْذَنُ لَهَا، وَيُوشِكُ أَنْ تَسْجُدَ، فَلَا يُقْبَلَ مِنْهَا، وَتَسْتَأْذِنَ فَلَا يُؤْذَنَ لَهَا، يُقَالُ لَهَا: ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَطْلُعُ مِنْ مَغْرِبِهَا(١٦٦).

٢ فإذا طلعت الشمسُ من مغربها آمن الناسُ كلهم بالله تعالى، وهو إيمانٌ اضطراريٌّ لا اختيار فيه؛ حيث ظهر الغيبُ وأيقن الجميعُ أنَّ الساعةَ قائمةٌ، فيؤمنون طمعًا في النجاة.

٣ إلا أنَّ بابَ التوبةِ يُغلق حينئذٍ، فلا يُقبل من عاصٍ توبةٌ، ولا من كافرٍ إسلامٌ؛ فهو إيمانٌ اضطراري وقع بعد المشاهدة، فلا ثمرة منه، كإيمانِ مَن نزل به الموت، قال تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ﴾ [النساء: ١٨]، وقال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ العَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ»(١٦٧)، وكإيمانِ مَن حلَّ به العذاب، قال تعالى في حقِّ فرعون: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٩٠- ٩١].

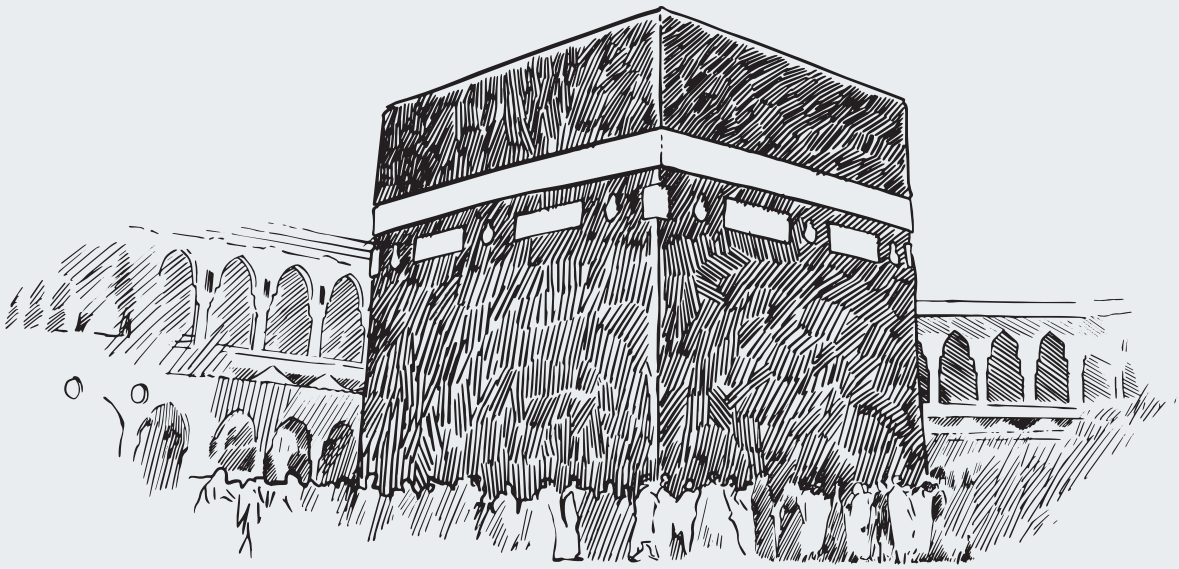

(١٦٦) رواه البخاري (٣١٩٩)، ومسلم (١٥٩).

(١٦٧) رواه الترمذيُّ (٣٥٣٧)، وابن ماجه (٤٢٥٣).

١ أخفى اللهُ عزَّ وجل موعدَ الساعة ليكون الإنسانُ مجتهدًا مستعدًّا لها طول الوقت، فتزداد طاعتُه وترتفع منزلته، كما أبهم ليلةَ القدر ليجتهد العبد في جميع العشر. فليس المطلوب من الإنسان أن يعلم متى الساعة، وإنما يستعد لها ويكثر من الأعمال الصالحة، ولهذا لمَّا سأل رجلٌ النبيَّ ﷺ: متى الساعة؟ قال ﷺ: «مَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟»[١٦٨].

٢ على الإنسان أن يُبادر في التوبة إلى الله تعالى، قبل أن يفاجئ بالموت أو بأمر يحول بينه وبين التوبة.

٣ هذا الحديث دليل على أن يوم القيامة حق لا ريب فيه.

٤ قَالَ بَكْرٌ الْمُزَنِيُّ -رحمه الله-: «ما من يومٍ أَخرَجه اللَّهُ إلى الدّنيا إلّا يقول: يا بْنَ آدَمَ، اغتنمني؛ لعلَّه لا يومَ لك بعدي، ولا ليلة إلّا تنادي: ابنَ آدَمَ، اغتنمني؛ لعلّه لا ليلة لك بعدي»[١٦٩].

قال الشاعر:

اغْتَنِمْ فِي الْفَرَاغِ فَضْلَ رُكُوعٍ ... فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مَوْتُكَ بَغْتَةْ
كَمْ صَحِيحٍ قد مَاتَ مِنْ غَيْرِ سُقْمٍ ... ذَهَبَتْ نَفْسُهُ الصَّحِيحَةُ فَلْتَةْ

وقال غيره:

مَثِّلْ لِنَفْسِكَ أَيُّهَا المغرورُ ... يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاءُ تَمُورُ
ذُكِّرَتْ شَمْسُ النَّهَارِ وَأُدْنِيَتْ ... حَتَّى عَلَى رَأْسِ الْعِبَادِ تَسِيرُ
وَإِذِ النُّجُومُ تَسَاقَطَتْ وَتَنَاثَرَتْ ... وَتَبَدَّلَتْ بَعْدَ الضِّيَاءِ كُدُورُ
وَإِذِ الْجِبَالُ تَقَلَّعَتْ بِأُصُولِهَا ... فَرَأَيْتَهَا مِثْلَ السَّحَابِ تَسِيرُ

(١٦٨) رواه البخاريُّ (٧١٥٣)، ومسلم (٢٦٣٩).

(١٦٩) «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (٢/ ٣٩١).